

غير مستنكر لك الإقدام

وحدث أبو محمد عن مسيرهم بالليل لكبس بادية وأن المطر أصابهم فقال أبو الطيب:

[الخفيف]

غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ لَكَ الْإِقْدَامُ
فَلِمَنْ ذَا الْحَدِيثِ وَالْإِعْلَامُ
قَدْ عَلِمْنَا مِنْ قَبْلُ أَنَّكَ مَنْ لَمْ
يَمْنَعْ اللَّيْلُ هَمَّهُ وَالْغَمَامُ^(١)

لا تقنع بما دون النجوم

كبست أنطاكية وهو فيها فقتل الطخوور وأمه فقال:

[الوافر]

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرْفِ مَرُومٍ
فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ^(٢)
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ صَغِيرٍ
كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ^(٣)

= الكأس، رغم تحريم الخمرة، ولكن رفض رجاء الأمير محرّم أيضاً، فاختار شرب الخمرة لأن حرمتها دون حرمة الأمير، وبذلك يكون الشاعر قد فعل ما هو أسلم له في نظره.

(١) ينوّه الشاعر ببعدهمّة الأمير، فلا شي يحول دون تحقيق غايته، لا المطر الغزير ولا الليل بظلمته، فكلّ شيء رهن إرادته وعظم سعيه.

(٢) و (٣) غامرت: دخلت في ما يهلك. المروم: المطلوب. في موقف تأملي بيدي الشاعر رأيه بمسير الحياة، فالمرء معرض باستمرار إلى الامتحان الصعب، ولذا فعليه أن يدرك أمانيه بجهده، وتصميمه وعزمته، فالشرف لا يتأتى للمرء إلا مرة واحدة حيث يتربّع عرش المجد، لذا فعليه ألا يقبل أقلّ من ذلك، لأن في ذلك خسارة عظيمة ذلك أن الموت حاصل يستهلك كلّ نفس، فإن مات ابن آدم فله شرف التجربة، وإن حقّق حلمه؛ فهو المجد الحقيقي.

- سَتَبْكِي شَجْوَهَا فَرَسِي وَمُهْرِي
 (١) صَفَائِحُ دَمْعُهَا مَاءُ الْجُسُومِ
 قَرَيْنَ النَّارِ ثُمَّ نَشْأُنْ فِيهَا
 (٢) كَمَا نَشَأُ الْعَذَارَى فِي النَّعِيمِ
 وَفَارَقْنَ الصَّيَاقِلَ مُخْلَصَاتِ
 (٣) وَأَيَّدِيهَا كَثِيرَاتُ الْكُلُومِ
 يَرَى الْجُبْنَاءُ أَنَّ الْعَجْزَ عَقْلٌ
 (٤) وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبْعِ اللَّئِيمِ
 وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرْءِ تُغْنِي
 (٥) وَلَا مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ

- (١) الصفائح: السيوف العريضة. الشجو: الحزن. ماء الجُسوم: كناية عن الدماء. فكرة الانتقام تسيطر دائماً على الشاعر، لذا فإنه سوف يثار لفرسه ومهره من القتلة، فيجعل سيفه يقطر من دمائهم ويكي ما فقد من بهائمهم.
- (٢) يروى «قرين» بالباء بدلاً من «قرين» بالياء، وقرين من القرى أي الضيافة. يُردف الشاعر حديثه عن تلك السيوف التي جعلت قراها في النار التي هذبتها بلهيبها وحرارتها، فإذا بها تخرج سالمة من كل شائبة كالعذارى التي سلمت من عبث العابثين في طهرهن ونقاء سرائرهن.
- (٣) الصياقل، الواحد صيقل، وهو صانع السيوف. مخلصات: أي خلصت من الخبث. الكلوم، الواحد كلم: الجراح. والغريب في الأمر أن تلك السيوف من طبعها إحداث الجراح في كل شيء، فإذا بصانيعها لا تخلو أيديهم من جراح سببتها تلك السيوف، رغم تجميلهم لها وصقلها.
- (٤) و (٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٦. يحكم الشاعر على الجبناء أن عقولهم القاصرة جعلتهم يعتقدون بأن الحكمة تقتضي منهم البعد عن القتال، ولقد توصلوا إلى حقيقة تنم عن قصور عقلي لديهم فلو علموا أن الموت آت لا محالة في زمن ومكان محددين، لما ترددوا في مجابهة تلك الحقيقة، لذا فالشجاعة هي حكمة توفّر على المرء الخوف المزمّن لديه، فالحكيم حقاً هو الشجاع الذي يواجه الموت ببسالة دون رهبة.

- وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَاحِحًا
 (١) وَأَقْتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ
 وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذَانُ مِنْهُ
 (٢) عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ

إذا توالى الغيوث كره الغمام

نزل على علي بن عسكر ببعلبك فخلع عليه وحمله وسأله أن يقيم عنده وكان يريد السفر إلى أنطاكية فقال يستأذنه :

[الوافر]

- رَوَيْنَا يَا أَبْنَ عَسْكَرِ الْهُمَامَا
 (٣) وَلَمْ يَثْرُكَ نَدَاكَ بِنَا هُيَامَا
 وَصَارَ أَحَبُّ مَا تُهْدِي إِلَيْنَا
 (٤) لِعَيْرِ قَلَى وَدَاعَكَ وَالسَّلَامَا
 وَلَمْ نَمْلَلْ تَفَقُّدَكَ الْمَوَالِي
 (٥) وَلَمْ نَذْمُ أَيَادِيكَ الْجِسَامَا
 وَلَكِنَّ الْغُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ
 (٦) بِأَرْضِ مُسَافِرٍ كَرِهَ الْمُقَامَا

- (١) و (٢) ورد البيتان الأخيران في : المحتسب ، لابن جني ٢ : ١٩ ، الوساطة بين المتنبي وخصومه : ١٣٦ . الآفة : المرض والعاهة . مشكلة الفهم لدى البشر مشكلة دائمة ، فقد تستعصي بعض الأفهام ، فلا تفهم لقصور لديها وتصور قاصر ، مما يدل على حالة مرضية يصعب الشفاء منها ؛ والحقيقة أن البشر يختلفون في الفهم ، فكلما كانت قرائحهم سليمة من الآفات والأمراض كان الفهم لطبيعة الحياة لديهم أكثر عمقاً وانسجاماً مع منطق القوة والكرامة .
- (٣) الهمام : السيد العظيم الشجاع السخي . والهيام : شدة العطش ، يخاطب الشاعر ممدوحه منوهاً بجوده وحسن ضيافته ، فقد نزل في ضيافته ، فارتوى من معين كرمه حتى سد عطشه بندها وكرمه ، فلم يعد عطشان لما أولاه من جود .
- (٤) القلى : البغض ، الكره . يُردف الشاعر بامتنان وشكر على ما قدمه الممدوح طالباً منه أن يؤدعه بحب لا تشوبه بغضاء ويتركه بسلام . إنه خير وداع وأحبه إلى قلبه .
- (٥) و (٦) الموالى : يقصد بذلك العبيد . الأيادي : النعم والعطايا . الجسام : العظام . =